**روسيا والغرب: المشكلة في القيم**

د. زياد منصور

باحث في التاريخ الروسي

 إن استراتيجية الأمن القومي للاتحاد الروسي، التي وافق عليها رئيس روسيا، سوف تُسجل في التاريخ كوثيقة زادت من أهمية قضية مسألة القيم الروحية والأخلاقية التقليدية للبلاد. فكما كانت مسألة القيم لها أولويتها في الاستراتيجية الروسية السابقة لعام 2015 كذلك فإن استراتيجية 2021 تركز على مسألة مصدر التهديد الوجودي لروسيا وهو "تغريب" الثقافة. ما هي المشاكل التي سوف تواجهها روسيا في النموذج الجديد؟

 فالحضارة الروسية الواقعة عند تقاطع حضارات الغرب والشرق، تشكلَّت وتطوَّرت، مستعيرة بعض من مميزات الحضارتين، ولكن في الوقت نفسه حافظت على تفردها. ومن الناحية الإقليمية والمكانية، تشمل الحضارة الروسية الاتِّحاد الروسي ودول رابطة الدول المستقلة، التي كانت تعيش معًا على مدى عقود وقرون عديدة في نفس المجال الحضاري (الأوراسي). فيما يغطي الغرب المجاور منطقة أوروبية أطلسية واحدة ويمثلها الاتحاد الأوروبي وأمريكا الشمالية ممثلة بالولايات المتحدة وكندا. وفي الوقت نفسه، يمثل الشرق عدة حضارات في وقت واحد: الصينية واليابانية والهندية، وبالطبع، الإسلامية-العربية والمشرقية بكافة تجلياتها.

 يطلق عالم السياسة والفيلسوف الأمريكي الشهير س. هنتنغتون على "الحضارة" المجتمع الثقافي للناس، الذي يمثل المستوى الأوسع للهوية الثقافية للناس، ويتحدد بوجود سمات مشتركة مثل اللغة، والتاريخ، والدين، والعادات، مؤسسات اجتماعية، والسمات الأنثروبولوجية، فضلا عن تحديد الذات الموضوعية ([[1]](#footnote-1)). وفي الوقت نفسه، ربط الباحث الفرنسي ف. بروديل الحضارات بالفضاء الثقافي والجغرافي **([[2]](#footnote-2))**. وهكذا فإن الجمعيات الحضارية، بما في ذلك الدول والمناطق بأكملها، لها حدود جغرافية معينة، وبالتالي فهي في هذا السياق تمثل فضاءات حضارية، والتي تسمى أيضًا في كثير من الأحيان بالحضارات الجغرافية **([[3]](#footnote-3))**.

 في مطلع القرنين العشرين والحادي والعشرين. بدأت عملية إعادة الهيكلة الكونية في العالم، حيث بدأت تتشكل كيانات جيوسياسية جديدة – جماعات واتحادات حضارية تؤثر بشكل فعال على تنمية البشرية، وتنتقل المواجهة بينها من مجال الصراع على الأراضي والموارد والاتصالات إلى المجال الثقافي والحضاري.

 أطلق هنتنغتون على هذا الوضع اسم "صراع الحضارات"، محددًا ثماني حضارات: الغربية، والروسية الأرثوذكسية (الروسية)، والكونفوشيوسية (الصينية)، واليابانية، والهندية، والعربية الإسلامية، وأمريكا اللاتينية، والإفريقية الاستوائية **([[4]](#footnote-4))**. ودون شك فإن "صراع الحضارات" سيطال الحضارة الروسية دون أدنى شك.

 وبعد انهيار النظام العالمي الاشتراكي، أصبحت القوة العظمى الوحيدة المتمثلة في الولايات المتحدة وحلفائها تنتهج سياسة العولمة تحت شعار دمقرطة العالم. تتضمن هذه السياسة، المتبعة في إطار مفهوم "الهيمنة الأمريكية الشاملة"، التي صاغها السياسي الأمريكي البارز ز. بريجنسكي **([[5]](#footnote-5))**، التوسع الاقتصادي، والسيطرة على تصدير التقنيات المتقدمة، والأهم من ذلك - انتشار التكنولوجيات المتقدمة. الثقافة الغربية وتأسيس هيمنة الحضارة الغربية على جميع أنحاء العالم ومركزها القوي - الولايات المتحدة الأمريكية.

 وهكذا تتعرض الهوية الثقافية والوطنية للدول المنتمية إلى حضارات أخرى للطعن، وينشأ رد دفاعي. رد الفعل هذا هو الأكثر حدة في العالم الإسلامي بسبب التناقض الهائل بين القيم الغربية ووجهات النظر السيادية للمسلمين، استنادا إلى التقاليد الدينية والتاريخية والثقافية التي تطورت على مدى قرون. واليوم تجد الحضارة الروسية نفسها جغرافياً على مقربة من هذه المواجهة، بل في قلبها إثر ما يجري في أوكرانيا والتهديد الوجودي لروسيا وحضارتها.

من الناحية العسكرية والسياسية بالنسبة للروس فإن التهديد الأكبر هو الذي تشكله الولايات المتحدة باعتبارها المكون الرئيسي للحضارة الغربية. على مدى العقدين الماضيين، زادت الميزانية العسكرية الأمريكية بشكل ملحوظ. وفي الوقت نفسه، تنتشر القواعد العسكرية الأمريكية في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك في الاتحاد السوفييتي السابق، أي في روسيا. وفي الفضاء الحضاري لروسيا، يتوسع حلف شمال الأطلسي بالقرب من حدودها. وتعمل الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي أيضاً على تطوير تقنيات جديدة لشن الحروب وتغيير الأنظمة السياسية. علاوة على ذلك، في ظل ظروف العولمة الحديثة، يتمثل التهديد في أنشطة الشركات عبر الوطنية وهياكل الشبكات المالية والاقتصادية باعتبارها كيانات اقتصادية عالمية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالاقتصادات المتقدمة للولايات المتحدة وحلفائها.

لكن معارضي الولايات المتحدة، الذين تمثلهم الدول الإسلامية، لا يمكن أن يكونوا حلفاء لروسيا بشكل واضح. إن أسلمة روسيا ودخولها في صراع مع الغرب ليس أكثر من محاولة من حكام دول الشرق الأوسط لاستخدام روسيا لمصالحهم الخاصة، وهو ما يؤكده تاريخ العلاقات بين هذه الدول والاتحاد السوفييتي. تهدد مجموعات عديدة من الأصوليين الإسلاميين والحركات الجهادية بشكل خاص أمن شمال القوقاز الروسي ومجال المصالح الجيوسياسية الروسية - الجمهوريات السوفيتية السابقة في منطقة القوقاز وآسيا الوسطى، والتي لا تزال جزءًا لا يتجزأ من الحضارة الروسية. وهكذا، قد تبدو الولايات المتحدة وحتى حلف شمال الأطلسي "أهون الشرين"[[6]](#footnote-6).

ولا شك أن كلا من الغرب الليبرالي، ممثلاً بالولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي، والاتحاد الأوروبي والشرق الإسلامي، ممثلاً بتركيا (التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالغرب أيضاً)، وإيران ودول الشرق الأوسط، يحاولون باستمرار تنفيذ سياسة توسع جيوسياسي في منطقة ما بعد الاتحاد السوفييتي. يسعى الغرب إلى منع إحياء روسيا كقوة عظمى، ويضع خططًا لتضييق مجالها الجيوسياسي والحضاري إلى حدود الدولة مع تقطيع أوصالها لاحقًا[[7]](#footnote-7). وفي المقابل، تهدف الدول الإسلامية إلى إقامة نفوذها الجيوسياسي الدائم من خلال أسلمة جميع دول ما وراء القوقاز وآسيا الوسطى، وكذلك أجزاء من الاتحاد الروسي - الجمهوريات الإسلامية في شمال القوقاز ومنطقة الفولغا[[8]](#footnote-8). وإدراكاً لهذه التهديدات الصادرة من الجانبين، تسعى روسيا، بشكل مبرر، إلى الدفاع عن سلامة أراضيها ومصالحها الجيوسياسية في المنطقة وأمنها الحضاري ككل.

 بالإضافة إلى ذلك، هناك حضارتان أخريان في الشرق تتنافسان مع روسيا للسيطرة على الفضاء. الأول تمثله الصين، التي تعززت بشكل ملحوظ اقتصاديا وعسكريا وسياسيا وعلميا وتقنيا وثقافيا في العقدين الأخيرين، وتسعى إلى مد نفوذها الجيوسياسي والحضاري ليس فقط إلى دول آسيا الوسطى، بل أيضا إلى دول آسيا الوسطى. الجزء الآسيوي من روسيا. والثانية هي اليابان، التي لديها، بالإضافة إلى مطالباتها الإقليمية في روسيا، مصالحها الجيوسياسية الخاصة في الشرق الأقصى الروسي، وهي في الوقت نفسه حليف تقليدي للغرب في هذه المنطقة. إن عمليات العولمة تدفع الدول نحو التكامل الحضاري القائم على القواسم المشتركة والنظرة العالمية والثقافة والدين والتاريخ والإقليم والهياكل الاقتصادية. إن القوانين الموضوعية للجغرافيا السياسية والقرابة الحضارية تدفع روسيا ودول رابطة الدول المستقلة نحو الوحدة، لكن استراتيجية "السيطرة على الفضاء" التي يستخدمها الغرب والشرق بنشاط تعمل على تحييد محاولاتهما الفوضوية للتوحيد. وفقًا للجيوسياسي الروسي الشهير إيه جي دوجين، تحتاج روسيا إلى إضفاء الطابع الرسمي على حضارتها وتعزيزها، بما في ذلك بلدان رابطة الدول المستقلة، في إطار "مساحة جيوسياسية أوراسية" واحدة تعتمد على الإمكانات الهائلة في شكل مجمل الثقافة الأرثوذكسية السلافية. والهوية الحضارية **([[9]](#footnote-9))**.

لفترة طويلة، طورت شعوب روسيا وبلدان رابطة الدول المستقلة، التي تنتمي إلى ثقافات مختلفة، آلية فعالة للتفاعل بين الحضارات. بالإضافة إلى ذلك، في البنية الجيوسياسية العالمية، تظل روسيا مركز العالم القاري، قادرة على السيطرة على مساحات شاسعة من الأرض والبحر والجو ([[10]](#footnote-10)).

 وفي هذا الصدد، يجب أن يكون الهدف الرئيسي للنخبة السياسية الروسية في المستقبل المنظور هو استعادة مساحة جيوسياسية وحضارية موحدة، مما سيعزز الثقافة الروسية ويحميها بنجاح. ودمج الثقافات الأخرى الموجودة في مجال هذا الفضاء فيها، مما سيضمن في المستقبل التطور المناسب والأمن للحضارة الروسية الفريدة.

 إذ أنه ودون أدنى شك فإن القيم الروسية تتعرض لهجوم ثقافي غربي من الدول والشركات العابرة للحدود الوطنية والمنظمات الأجنبية غير الربحية وغير الحكومية والدينية والمتطرفة والإرهابية. إذا كان الإرهاب والتطرف قد تم فصلهما بطريقة أو بأخرى عن المواضيع "الغربية"، فإنهما يعتبران الآن تهديدات ضمن منظومة واحدة ونطاق واحد. إن انتقال المواجهة مع الغرب إلى مستوى القيم الأخلاقية والحضارية يشكل مرحلة جديدة في التفكير الاستراتيجي الروسي. منذ وقت ليس ببعيد، كان ينظر إلى مثل هذه المواجهة في إطار العلاقات المادية (الدفاع والاقتصاد)، ولكن الآن انتقلت بوضوح إلى الاتجاه الأيديولوجي. لماذا حدث هذا التحول؟ ما هي المشاكل التي سوف تواجهها روسيا في النظام الجديد؟ ما هي نقاط القوة والضعف في هذا النهج؟

 لقد ابتعدت السياسة الخارجية الروسية عن البعد القيمي لبعض الوقت. حدثت طفرة معينة في أوائل التسعينيات مع فكرة تقارب هذه القيم مع الغرب بعيد انهيار الاتحاد السوفياتي. ولكن بحلول النصف الثاني من التسعينيات، كان هناك تحول واضح بعيدا عن المثالية الليبرالية نحو الواقعية البراغماتية. وفي أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، سيطرت الواقعية أخيرًا على المذاهب الروسية. لقد كان ينظر إلى الأمن والسياسة الخارجية من حيث التهديدات المادية المحددة. وعلى هذا الأساس تم بناء التفاعل مع القوى الخارجية، بما فيها الغرب. لقد تم تحديد واقعية التفكير الروسي، من ناحية، من خلال الارهاق الناجم عن اللجوء إلى الأيديولوجية المفرطة في السياسة الخارجية السوفياتية. ومن ناحية أخرى، خيبة الأمل السريعة من التقارب السياسي مع الغرب وفهم أن إعلان القيم المشتركة لا يعني بالضرورة الابتعاد عن التنافس.

 وعلى العكس من ذلك، احتفظت السياسة الخارجية الغربية بأثقال أيديولوجية. وسرعان ما عادت روسيا إلى صفوف "الآخرين المهمين". أي أنها أصبحت مرة أخرى نقطة محورية في بناء الهوية الغربية والمقارنة معها. لعب سكان البيت الغربي الجدد من دول أوروبا الوسطى والشرقية دورهم هنا. بالنسبة لهم، كان تشكيل هوية جديدة مهمة ذات أهمية خاصة، وكانت معارضة "الإمبراطورية" السابقة بمثابة تقنية سياسية مريحة. بدأت هذه العملية قبل فترة طويلة من أحداث القرم عام 2014. بدأت الأصوات حول الاستبداد الروسي والتوسعية وما شابه ذلك تُسمع في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، جنبًا إلى جنب مع بيان الانحدار الحتمي لدولة كانت قوية ذات يوم. أصبحت التلاعب بمسألة الهوية تقنية سياسية في مناطق ما بعد الاتحاد السوفياتي أيضًا. لقد اندلعت "الثورات الملونة" سيئة السُّمعة والصيت والأبعاد، من بين أمور أخرى، على أساس معارضة "الغرب الحديث لروسيا المتخلفة".

 في البداية وفي روسيا نفسها، كان وضع الغرب باعتباره "العالم الآخر" مهمًا، شعار المعارضة وفي تسعينيات القرن الماضي، اعتمد كل من اليسار واليمين في حملاتهم الانتخابية على هذه الفكرة. لقد استغل الأول الحنين إلى العهد السوفييتي، أما الثاني فقد استغل الأمر طلباً للانتقام "الجيوسياسي".

في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، انتقلت السردية جزئيًا إلى المستوى الأهم في سياسة الدولة، على الرغم من أنه لم يصل بعد إلى حد المعارضة المفتوحة لنماذج القيم. وتسارعت العملية بعد عام 2014. ومع ذلك، حتى في ذلك الوقت، كان عنصر القيم في النهج الروسي تجاه الغرب أصغر بشكل ملحوظ مقارنة بسرد الدول والمنظمات الغربية الفردية. وفي عام 2021، اقترب حجم التفكير الاستراتيجي الروسي من نظيره الغربي. ما كان يبدو سابقًا محجوبًا وبين السطور أصبح يسمى باسمه الحقيقي. وفي الوقت نفسه، فإن جوهر القيم التي تقترحها الاستراتيجية الجديدة سيواجه العديد من المشاكل المفاهيمية.

تتعلق المشكلة الأولى بحقيقة أن تلك القيم المعلنة في الاستراتيجية كمبادئ توجيهية روحية وأخلاقية روسية وتعارض "التغريب" هي إما من أصل غربي، أو على الأقل ليست غريبة على الغرب. من بينها، تشير الوثيقة إلى الحياة والكرامة وحقوق الإنسان والحريات، والوطنية، والمواطنة، وخدمة الوطن، والمثل الأخلاقية العالية، والأسرة القوية، والعمل الإبداعي، وأولوية الروحانية على المادة، والإنسانية، والرحمة، والجماعية، المساعدة المتبادلة والاحترام المتبادل والذاكرة التاريخية واستمرارية الأجيال.

**في الحقوق والحريات:**

هذه الحقوق والحريات هي قيم عصر التنوير الذي كان مهده أوروبا الغربية. وينطبق الشيء نفسه على الوطنية والمواطنة. وقد مهد لهم الطريق الإنجليز والفرنسيون العظماء، ثم سلسلة من الثورات الأخرى في أوروبا. حدثت الثورات في روسيا نفسها أيضًا تحت نفس الشعارات، على الرغم من أن الحكومة الإمبراطورية الروسية تمكنت من دمج الوطنية عضويًا في نظام قيمها. إن الحياة والكرامة قيمتان عالميتان ويتقاسمهما بالتأكيد الكثيرون في أمريكا الشمالية وأوروبا.

من الصعب أن نجد في الغرب مجتمعاً يتخلى عن المُثُل الأخلاقية السامية والقيم الأسرية، حتى على الرغم من موجات "الثورة الجنسية" والتحرر المتعددة. العمل الإبداعي هو جوهر الأخلاقيات الاقتصادية الغربية. هناك أيضًا مزيج من الروحي والمادي. إن اعتبار الغرب الرأسمالي ملتزمًا بأولوية المادة سيكون أمرًا مبالغًا فيه. ويكفي أن نتذكر الأخلاق البروتستانتية و"روح الرأسمالية"، والمستوى العالي من التدين في عدد من المجتمعات. أظهرت الأبحاث واسعة النطاق التي أجراها رونالد إنجلهارت **([[11]](#footnote-11))** أن الاختيار بين الأولويات الروحية والمادية المشروطة يتغير بشكل دوري. وهذا يعني أن جيلًا واحدًا يمكن أن يكون ماديًا، والجيل التالي مثاليًا، والجيل التالي ماديًّا مرة أخرى.

**الإنسانية:**

هي مفهوم غربي. وعلى العموم، فهي تشكل أساس النظرية السياسية الليبرالية بافتراضها أن الطبيعة الإبداعية للإنسان والحياة الإنسانية هي القيمة العليا. الرحمة والمساعدة المتبادلة والاحترام المتبادل هي قيم عالمية. الشيء نفسه ينطبق على العدالة. علاوة على ذلك، كانت نظرية العدالة في الفكر السياسي الغربي موضوعاً للتأمل لقرون بل وآلاف السنين ــ من الدولة العادلة عند أفلاطون إلى نظرية العدالة عند جون راولز[[12]](#footnote-12). وأخيرا، فإن الجماعية موجودة أيضا في أرضية القيم الغربية. هنا نجد أفكار حول الصالح العام ونظريات المجتمع السياسي. وداخل الغرب نفسه، هناك مجتمعات أكثر "جماعية" وأكثر "فردانية".

المشكلة الثانية تتعلق بحقيقة أن الغرب نفسه غير متجانس للغاية. وهو يتألف من العديد من المدارس والاتجاهات والثقافات. نعم، هناك خطاب مشترك تروج له المنظمات الأمنية (حلف شمال الأطلسي)، والتكامل الاقتصادي والسياسي (الاتحاد الأوروبي)، والدول القومية الفردية. ولكن تحت هذه اللوحة يعيش تنوع هائل، لا يمكن اختزاله في قاسم واحد. إن بولندا المحافظة، بموقفها المنضبط في التعامل مع المهاجرين، والتدين العالي، وحظر الإجهاض، تجاور ألمانيا المتعددة الثقافات، مع حدود أوسع بكثير من التسامح. يوجد داخل إيطاليا الموحدة ثقافتان فرعيتان على الأقل، الشمال والجنوب. علاوة على ذلك، فإنهم يختلفون بشكل جذري في خصوصيات تنظيم المجتمع، وفي أخلاقيات العمل، وفي التفضيلات الانتخابية. وتتميز الولايات المتحدة أيضًا بتنوع كبير، والذي غالبًا ما يُنظر إليه خطأً على أنه كائن متجانس ينقل قيمًا بنفس الترتيب إلى الخارج. الاختلافات الداخلية هنا هائلة في بعض الأحيان. ولنتأمل هنا الخلافات غير الرسمية بين الشمال والجنوب والتي استمرت منذ الحرب الأهلية. وفي أمريكا سنجد وجهات نظر متناقضة حول موضوع الأقليات الجنسية، وهو ما يحبه النقاد الروس. إن كاليفورنيا المتسامحة سوف تكون مختلفة تماماً عن "حزام القطن" على سبيل المثال. إن جرائم قتل الأقليات الجنسية هي جزء من الحياة الأمريكية. علاوة على ذلك، يمكن أن تحدث في أي مكان. يمكننا أن نتذكر التجربة التاريخية. تعايشت المكارثية المعروفة في الخمسينيات مع أنشطة جون بيوريفوي، وكيل وزارة الخارجية للشؤون الإدارية. لقد "كشف" عن "المثليين السريين" في قسمه من خلال طرد 91 موظفًا. صحيح أن ممثلي الأقليات كانوا يعتبرون أيضًا شيوعيين مخفيين.

بعبارة أخرى، بإعلاننا أن الغرب قوة تعمل على ترويج "وجهات نظر واسعة للحياة"، قد نجد، بعبارة ملطفة، سوء فهم بين قطاعات كبيرة من السكان في الدول الغربية الذين يحملون وجهات نظر معاكسة تماماً. أي تعميم هنا يتطلب حسابًا وتفصيلًا دقيقًا.

الجانب الإشكالي الثالث هو خصوصيات المجتمع الروسي نفسه. منذ القرن السابع عشر على الأقل، كان تحت التأثير الثقافي والحضاري القوي للغرب. علاوة على ذلك، كان الانفتاح على هذا النفوذ قراراً واعياً للنخب السياسية. بدأ التغريب في روسيا من الأعلى وتم الترويج له بنشاط مع تقلبات معينة لأكثر من ثلاثة قرون. كان هناك سعي إلى استعارة جوهر التجربة الغربية: ترشيد المؤسسات السياسية الرئيسية، وتحويلها إلى آلة تتسم بالكفاءة وتعمل بسلاسة. بادئ ذي بدء، نحن نتحدث عن الجيش والبيروقراطية وأدوات السلطة التأديبية. بدون مثل هذا الاقتراض، يبدو أن روسيا كانت متجهة إلى مصير الصين في القرن التاسع عشر، ممزقة حرفيا من قبل المعارضين الأكثر تقدما. أما بالنسبة لروسيا، على العكس من ذلك، فقد أدى تحديث الجيش والأجهزة السياسية وفقاً للنماذج الغربية إلى جلب مكانة القوة العظمى.

طوال القرن التاسع عشر، دارت معارك بين الغربيين والسلافوفيين (السلافينو فيلي- أنصار نقاوة الفلسفة السلافية) في روسيا. ولم يكن كلا المعسكرين راضيين عن الطبيعة الفاترة للتحديث والعلاقات مع الغرب. كما هو معروف، دعا السلافوفيون إلى "العودة إلى الجذور"، معتقدين أن الاقتراضات الفكرية (الاحتواءات القيمية) لا تؤدي إلا إلى تشويه وشوه المسار التاريخي الروسي. وعلى العكس من ذلك، سعى الغربيون إلى إكمال العملية، وليس الاقتصار على الجيش وجهاز القمع، بل سعوا إلى تحديث كافة المؤسسات الاجتماعية والسياسية.

لا يمكن اعتبار ثورة عام 1917 وانتصار القوة السوفييتية انتصاراً للغربيين أو السلافوفيين. لكن شكل التغريب المألوف في روسيا فقد تم الحفاظ عليه بل وتكثيفه. كانت الأيديولوجية الاشتراكية (الشيوعية) نفسها ذات أصل غربي. نعم، لقد قدم الماركسيون الروس مساهمة ملحوظة ومبتكرة في ذلك. لكن المبادئ الأساسية ظلت التنوير والعقلانية - أي الغربية. وهنا الإيمان بالإبداع الإنساني (التفاؤل الأنثروبولوجي والإنسانية)، والتحرر في جميع المجالات، بما في ذلك، بالمناسبة، العلاقات الأسرية والجنسية، وأولوية حقوق الإنسان وحرياته. في الواقع، بالطبع، اتضح الأمر بشكل مختلف بعض الشيء. في الواقع، تم إعادة إنتاج النموذج الإمبراطوري المعتاد للتحديث: تطوير الجيش، وجهاز السلطة الانضباطية، وكذلك جميع الإمكانات الصناعية والعلمية اللازمة لتحقيق اختراق التحديث. في الوقت نفسه، هناك الحفاظ على مساحة عدم الحرية وتعزيزها بشكل حاد. كما أدى مزيج تحديث المؤسسات بطريقة قسرية مع الطبيعة الجماهيرية للتحديث وفقًا للنموذج الغربي إلى ظهور أشكال محددة من التنظيم الشمولي للمجتمع، والتي أصبحت أكثر ليونة بمرور الوقت. إن الفتور الأبدي في عملية التغريب والوسطية في اكتساب أنماطها، والمبالغة في هذا السلوك في بعض المناطق والتسامي في مناطق أخرى، أصبح أحد أسباب انهيار الدولة السوفيتية.

فهل لا يزال الخلاف بين الغربيين التقليديين والسلافيين قائما حتى يومنا هذا؟ بالكاد. وفي القرن التاسع عشر، كانت روسيا تمتلك في واقع الأمر قاعدة ثقافية من حاملي القيم "التقليدية". نحن نتحدث عن القرية والجماهير الكبيرة من الناس الذين لا يشاركون في الأشكال الحديثة لتنظيم الاقتصاد والمجتمع. إن أعمق فجوة وفي نفس الوقت العلاقة التي لا تنفصم بينهم وبين النخبة آنذاك موصوفة بشكل مثالي في الأدب الكلاسيكي الروسي. ومع ذلك، في القرن العشرين تم تدمير هذه القاعدة إلى حد كبير. لقد حول مشروع التحديث السوفييتي روسيا الزراعية إلى دولة صناعية ومتحضرة ذات أسلوب حياة مختلف تمامًا. لقد تم ببساطة العس على المؤسسات الدينية بالأقدام. فمن حيث انتشار العلمنة، كانت الاتحاد السوفياتي متقدًا كثيرا على الغرب.

من وجهة نظر التحضر وأسلوب الحياة، فإن روسيا في أواخر العصر السوفياتي وما بعد السوفياتي تشكل مجتمعاً غربياً بكل ما يصاحبه من مشاكل، وقد فقد نقاطه المرجعية التقليدية.

إن المؤسسات الأسرية عادة ما تكون على الطراز الغربي، مع عدد صغير من الأطفال ومعدل طلاق مرتفع. علاوة على ذلك، تراجع هذا الاتجاه في الستينيات. أدى انهيار الاتحاد السوفييتي وانهيار الاقتصاد إلى تفاقم جميع المشاكل النموذجية للمجتمع الحضري والحديث. هناك مستوى عالٍ من جرائم القتل والانتحار والإدمان على الكحول وتفتيت المجتمع.

بمعنى آخر، من الصعب علينا أن تقدم روسيا للعالم ولذاتها بديلاً عن "الثقافة التقليدية"، حيث فقدت قاعدتها الاجتماعية خلال القرن العشرين نتيجة للتحديث غير المسبوق. لقد جعل من الممكن تحقيق نتائج واسعة النطاق وتحويل الاتحاد السوفياتي إلى قوة عظمى. ولكن كان لها أيضا ثمنها. ومقارنة بروسيا، فإن بلدان منطقة الشرق الأوسط على سبيل المثال تتمتع بإمكانات أعظم كثيراً في بناء هوية "تقليدية"، ولو كان ذلك فقط بسبب الدور الحاسم الذي يلعبه الدين في الحياة السياسية العامة. هل روسيا كلها مستعدة لمثل هذه التجربة؟ من الواضح أنه لا. علاوة على ذلك، مع الأخذ في الاعتبار حقيقة أن بلدنا نفسه غير متجانس تماما. وقد أدت فترة ما بعد الاتحاد السوفييتي إلى تكثيف هذا التباين. كان التحديث السريع للمدن الكبيرة مصحوبًا بعملية ديمقراطية ملحوظة بنفس القدر في عدد من مناطق وقطاعات المجتمع الروسي. علاوة على ذلك، فإن تجارب التحديث ونزع التحديث متشابكة بشكل معقد.

هل يعني ذلك أن التقليد في مثل هذا المجتمع مستحيل بشكل عام؟ بالطبع لا. لكن هذا نوع مختلف من التقليد. إن التقليد القائم على الوطنية والمواطنة والحفاظ على الذاكرة التاريخية في بنيته لا يختلف كثيرا عن النماذج المماثلة في العديد من الدول الغربية. وهذا يعني أن معارضة الغرب هنا ستكون مشروطة للغاية أيضًا.

وسواء أحببنا ذلك أم لا، فإن علاقات روسيا مع الغرب لن تنقطع. إن التناقضات السياسية والتهديد العسكري ستجبر روسيا على أن تأخذ في الاعتبار على الأقل التجربة الغربية في تنظيم الجيش والصناعة والعلوم.

سوف تتدفق الدوافع القيمية من مختلف الدول الغربية حتى لو فرضت رقابة صارمة على المعلومات والفضاء العام. وستبقى الفئات الاجتماعية في المجتمع الروسي مطالبة بتحديث الاقتصاد والمؤسسات والمجتمع، بما في ذلك وفق النموذج الغربي. ومن غير المرجح أن يكون لحقيقة أن مثل هذه المجموعات تشكل أقلية علاقة مباشرة بنفوذها. لقد أصبحت النخبة الروسية نفسها ذات طابع غربي. هناك أيضًا العديد من العاملين في الاقتصاد والعلوم وغيرها من المجالات ذات الأهمية الحاسمة التي لا يمكن أن توجد في مجتمع مغلق. إن تطهير هذه المناطق وحتى القمع الجماعي لن يحل المشكلة بشكل أساسي. لأن هذه المجالات نفسها تعمل أو يجب أن تعمل في نظام التنسيق لمجتمع حديث.

وأخيرا، الشيء الأكثر أهمية. القيم في حد ذاتها لا تمنع ظهور الصراعات السياسية. فشعبا روسيا وأوكرانيا، على سبيل المثال، لديهما قيم مماثلة. لكن على المستوى السياسي، هناك معارضة بين موسكو وكييف. هناك العديد من الأمثلة المماثلة. إن الغرب الحديث يقف حرفياً على عظامه. لقد كانت الحروب بين أعضاء "المجتمع المسيحي الواحد" حدثًا يوميًا في العلاقات الدولية لعدة قرون. إن السلام الطويل الذي دام طيلة الأعوام الستة والسبعين الماضية يشكل، من وجهة نظر تاريخية، استثناءً شاذاً. ولا ينبغي للمرء أن يخاف من القيم في حد ذاتها، بل من الصراعات السياسية التي يمكن أن تستغل هذه القيم. روسيا بحاجة إلى التحديث. وهذا بدوره مستحيل دون التفاعل مع المجتمعات الغربية. وكما كان الحال قبل ثلاثمائة عام، فإن استعارة الخبرة الأجنبية ودمجها مع الرؤية الشخصية والأهداف الاستراتيجية يمكن أن يكون المفتاح لبقاء البلاد.

 **المراجع:**

 -صاموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات، دار الأمل للكتاب والتوزيع، القاهرة، 2010، ص.107.

 -فرنان بروديل، قواعد لغة الحضارات، تر. الهادي التيمومي، مركز دراسات الوحدة العربية، 2009، ص.204.

- زبغنيو بريجنسكي، رقعة الشطرنج الكبرى، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ص.54

- ساتانوفسكي إي.يا. اللعبة الكبرى - القرن الحادي والعشرون // الحياة الدولية. 2006. رقم 3. مع. 13-21. (باللغة الروسية)

-أفكسينتييف ف.أ، ووأكسيوموف، ب.ف، صراع الحضارات عند التحولات الإقليمية: القوقاز والبلقان // بوليس. 2007. ع 4. ص. 146-157.

 -ألكسندر دوغين، أساسيات الجغرافيا السياسية. المستقبل الجيوسياسي لروسيا، مجلة فكر في الفضاء. - م: "مركز أركتوجيا"، 1999. - 928 ص. باللغة الروسية.

**المراجع الإنجليزية:**

-Kefeli, - I.F, Philosophy of geopolitics: Monograph, Petropolis 2007, St. Petersburg, P .208

1. -صاموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات، دار الأمل للكتاب والتوزيع، القاهرة، 2010، ص.107. [↑](#footnote-ref-1)
2. -فرنان بروديل، قواعد لغة الحضارات، تر. الهادي التيمومي، مركز دراسات الوحدة العربية، 2009، ص.204 . [↑](#footnote-ref-2)
3. Kefeli, - I.F, Philosophy of geopolitics: Monograph, Petropolis 2007, St. Petersburg, P .208 [↑](#footnote-ref-3)
4. - هنتنغتون، المرجع السابق، ص.123. [↑](#footnote-ref-4)
5. - زبغنيو بريجنسكي، رقعة الشطرنج الكبرى، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ص.54. [↑](#footnote-ref-5)
6. - ساتانوفسكي إي.يا. اللعبة الكبرى - القرن الحادي والعشرون // الحياة الدولية. 2006. رقم 3. مع. 13-21. (باللغة الروسية) [↑](#footnote-ref-6)
7. - زبغنيو بريجنسكي، المرجع السابق، ص.73. [↑](#footnote-ref-7)
8. - أفكسينتييف ف.أ، ووأكسيوموف، ب.ف، صراع الحضارات عند التحولات الإقليمية: القوقاز والبلقان // بوليس. 2007. ع 4. ص. 146-157. [↑](#footnote-ref-8)
9. -ألكسندر دوغين، أساسيات الجغرافيا السياسية. المستقبل الجيوسياسي لروسيا، مجلة فكر في الفضاء. - م: "مركز أركتوجيا"، 1999. - 928 ص. باللغة الروسية. [↑](#footnote-ref-9)
10. -إيفانونف. ل.غ، الآفاق الجيوسياسية لروسيا، مجلة الحياة الدولية، ع.7،2007، ص.ص.36-46. [↑](#footnote-ref-10)
11. - رونالد إنجلهارت (سبتمبر1934- مايو 2021). أحد أعظم العلماء السياسيين في عالمنا المعاصر، ومعلم للکثيرين، وعقل مدبر حقيقي ومؤسس استطلاع القيم العالمية، وواحد من العديد من الشخصيات البارزة. في عمله التاريخي، الثورة الصامتة (1977)، وضع رونالد إنجلهارت نظرية وأظهر الدافع وراء ظهور التحوُّلات الثقافية والسياسات المضطربة في منتصف الستينيات وأوائل السبعينيات في أوروبا الغربية وأمريکا الشمالية. حدد دور تحولات الأجيال في تجارب الأمن الوجودي والتعبئة المعرفية باعتبارها القوى الاجتماعية التي تغذي صعود ما تصوّره على أنه قيم "ما بعد المادية"، ثم توسع لاحقًا إلى المفهوم الأوسع لـ "قيم التعبير عن الذات". لقد افترض أن المرحلة الأولى من التحديث المجتمعي - الانتقال من المجتمع الزراعي إلى المجتمع الصناعي - تعزِّز "القيم العلمانية العقلانية"، لکن مجموعة مميزة من قيم التعبير عن الذات تظهر في المرحلة الثانية من التحديث: الانتقال من المجتمع الصناعي إلى ما بعد الصناعي. توسيع هذه النظرية لتطبيقها على قضايا متنوعة مثل التدين والعلمنة، وعمليات الدمقرطة، وقضايا أدوار الجنسين والمساواة بين الجنسين، وظهور الشعبوية الاستبدادية، في سلسلة من المنشورات الرئيسية، أثرت مجال الثقافة السياسية بمفاهيم وأدلة عزّزت بشکل کبير فهمنا لتغيير القيمة مدى الحياة، وکانت رغبة إنجلهارت توفير قاعدة أدلة لدراسة الاختلافات الثقافية والتغيير الثقافي الذي تطور تدريجيًا في النطاق والتغطية بناء على هذه النظريات الاجتماعية. [↑](#footnote-ref-11)
12. - وفقاً لرؤية رولز؛ فإنَّ «العدالة الاجتماعية» تسمح بتوزيع للمنافع ذي طبقات متعددة. فهناك منافع اجتماعية يجب أن توزع بالتساوي؛ منها الحقوق الأساسية للإنسان، كحرية التعبير والاعتقاد والتقاضي والعمل والانتقال وتكوين العائلة، وكذلك الحقوق المرتبطة بالمواطنة، لا سيما حق الوصول إلى الوظائف العامة، والاستفادة المتساوية من الأموال العامة، والتساوي أمام القانون.

وثمة منافع ينبغي توزيعها تبعاً لحاجة المتلقين؛ منها الدعم المباشر لمحدودي الدخل، وتوفير السكن والرعاية الصحية لمن تقصر مداخيلهم عنها. والغرض من هذا هو ضمان حد أدنى من لوازم العيش الكريم للمواطنين كافة، بمعنى أنَّ الأكثر حاجة قد يتلقى منافع أكثر من غيره.

أخيراً؛ ثمة منافع يمكن توزيعها بشكل متفاوت، شرط أن تُتاحَ لكل المواطنين فرصٌ متساويةٌ للحصول على نصيب أكبر منها. مثل مكافأة ذوي الإنجازات والمبتكرين، والموظفين الذين يقدمون خدمات نادرة... إلخ. يمكن تبرير هذا التمايز اعتماداً على مبدأ الاستحقاق والجدارة. كما يمكن تبريره بأن منح الأشخاص المنتجين حوافز مادية، سوف يعزز قيمة الإبداع والعمل الجاد، ويشجع على توسيع إنتاج السلع والخدمات التي تحتاجها السوق؛ الأمر الذي ينعكس إيجابياً على معيشة أعضاء المجتمع كافة. [↑](#footnote-ref-12)